الباب السادس والعشرون
في ضرب الصراط على متن جهنم
ـ وهو جسر جهنم ـ ومرور الموحدين عليه

١ ـ (١٧٥) روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثًا طويلا قال : « **ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، فيقولون : اللهم سلم سلم** » قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « **دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها : السعدان ، فيمره المؤمن كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلّم ، ومخدوش مرسل ، ومكردس على وجهه في النار** » [(١)] . خرجاه في الصحيحين . وفي رواية للبخاري : « **حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا** » . وفي رواية لمسلم قال أبو سعيد الخدري : بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف .

وروى آدم بن أبي إياس في تفسيره ، حدثنا أبو عمرو الصنعاني ، عن زيد بن أسلم ، فذكر الحديث ولفظه : « **يمر المؤمنون على الصراط بنورهم ، فمنهم من يمر كطرف العين** » [(٢)] . وذكر الحديث .

٢ ـ (١٩٨) وخرجا في الصحيحين أيضًا من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث وفيه قال : « **ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه ، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟** » قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « **فإنها مثل**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ . ٩/ ١٥٩ . ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٦٩ (١٨٣) .

(٢) أورده الطبري فى تفسيره ١٦/ ١٢٣ . وفى نسخة الفاروق : أبو عمر وهى كنية حفص بن ميسرة .

شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله ـ عز وجل ـ تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجى » [١] . وذكر الحديث . وفي آخره قال : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا .

٣ ـ (..) وخرج مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعي ، عن حذيفة كلاهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديث الشفاعة وفيه قال : « فيأتون محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم ويؤذن له ، وترسل معه الأمانة والرحم ، فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق » قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم صلى الله عليه وآله وسلم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد ، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا » قال : « وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ ، من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ، ومكردس في النار » والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفًا [٢] .

٤ ـ (١٩٧) وفي حديث الصورالطويل الذي سبقت الإشارة إليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم كقدر الشعرة أو كحد السيف ، له كلاليب وخطاطيف ، وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة » [٣] وهو يشعر بالتفريق بين الجسر والصراط . والأحاديث الصحيحة السابقة تدل على أنهما واحد .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأذان ، باب فضل السجود ١/ ٢٠٤ ، وفى الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ٨/ ١٤٧، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ ﴾ ٩/ ١٥٦ . ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٦٤ (١٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٧ (١٩٥) وأوله : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس .. » .

(٣) من رواية ابن أبى الشيخ فى كتاب العظمة : وقد سبق صـ ٢٥٤ . برقم (١٩٧) .

٥ – (..) وروى أبو خالد الدالاني عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثًا طويلا وفيه قال : « **والصراط كحد السيف دحض مزلة قال : فيقولون : انجوا على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كأشد الرجال ويرمل رملا ، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدميه تخر يد وتتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رجل ، فتصيب جوانبه النار** » [(١)] . خرجه الحاكم وصححه هو وغيره من الحفاظ .

٦ ـ (١٩٩) وفي سنن أبي داود عن الحسن عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها ذكرت النار فبكت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **مالك يا عائشة ؟** » قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله وآله وسلم : « **أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتب حين يقال : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ ﴾** [الحاقة:١٩] **حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة ، يحبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا** » [(٢)] .

٧ ـ (١٩٧) وروى ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه إلا أنه ذكر الميزان ، وتطاير الكتب ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٦ وما بعدها وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ » ا.هـ . ووافقه الذهبي ، وفي : ٤/ ٥٩٠ وقال : « رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات غير أنهما لم يخرجا أبا خالد الدالاني في الصحيحين .. والحديث صحيح ولم يخرجاه » ا.هـ. وتعقبه الذهبي بقوله : « **ما أنكره حديثًا على جودة إسناده ، وأبو خالد شيعي منحرف** » ا.هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب في ذكر الميزان ٥/ ١١٦ (٤٧٥٥) . وضعفه الألباني في : ضعيف سنن أبي داود صـ ٤٧١ (١٠١٨) .

وخروج عنق من النار ، وقال : « **ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف ، وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم ، فناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكردس في النار على وجهه** » [(١)] خرجه الإمام أحمد .

٨ ـ (٢٠٠) وروى أبو سلام الدمشقي حدثني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة قال : أتيت عائشة فقلت : حدثك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد فيها شفاعة ؟ قالت : لقد سألته عن هذا ، قال : « **نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيه شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي** » أو قال : « **يوحى إلي وعند الجسر حين يستحد ويستحر** » قلت : وما يستحد وما يستحر ؟ قالت : يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ، ويستحر حتى يكون مثل الجمرة ، « **فأما المؤمن فيجيزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ وسطه خر من قدميه فهوى بيده إلى قدميه ، قالت : فهل رأيت من يسعى حافيًا فتأخذه شوكة كادت تنفذ قدميه ، فإنها كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه ، فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدميه فتقذفه في جهنم ، فيهوي فيها مقدار خمسين عامًا** » قلت : وما ثقل الرجل ؟ قال : « ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ »[(٢)] [الرحمن:٤١] . خرجه بقي بن مخلد في مسنده ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وفي إسناده جهالة ، وفي بعض ألفاظه نكارة .

والأحاديث الصحيحة تدل على أن الصراط إنما يوضع بعد الإذن في الشفاعة كما سبق .

٩ ـ (٢٠١) وخرج الإمام أحمد من حديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه

---

(١) سبق صـ ٢٥٤ برقم (١٩٧) .

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٧٥ وعزاه لابن أبي حاتم ثم قال ابن كثير : « غريب جدًا وفيه ألفاظ منكر رفعها وفي الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به . والله أعلم » ا.هـ . وقد عزاه السيوطي في : الدر المنثور ٦/ ١٤٥ إلى عبد الرزاق في المصنف ا.هـ.

وآله وسلم قال : « **يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش في النار ، فينجي الله برحمته من شاء** » [١] .

١٠ ـ (٢٠٢) وخرج الحاكم من حديث سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يوضع الصراط مثل حد الموسى ، فتقول الملائكة : من ينجو على هذا ؟ فيقول : من شئت من خلقي ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك** » [٢] . وقال : صحيح . قلت : المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله .

١١ ـ (٢٠٣) وخرج الحاكم أيضًا من حديث أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **وتسلكون جسرًا من النار يطأ أحدكم الجمرة فيقول : حس حس ، فيقول ربك : أدنه** » [٣] .

١٢ ـ (٢٠٤) وخرج البيهقي من حديث زياد النميري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **الصراط كحد الشفرة أو كحد السيف ، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات ، وإن جبريل لآخذ بحجزتي ، وإني لأقول : يا رب سلم سلم ، فالزالون والزالات يومئذ كثير** » [٤] .

١٣ ـ (٢٠٥) وخرج أيضًا من حديث سعيد بن زربي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **على جهنم جسر مجسور أدق من الشعر وأحد من السيف ، أعلاه نحو الجنة دحض مزلة ، بجنبتيه كلاليب وحسك من**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٣ ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٥٩ : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضًا ورجاله رجال الصحيح » ا.هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٦ وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ا. هـ. وسكت عنه الذهبي .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٦٢ وقال : « هذا حديث جامع فى الباب صحيح الإسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه » . وقال الذهبى : « يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى ضعيف » ا.هـ . وعنده عن عبد الله بن حاجب بن عامر عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى النبى ﷺ ..... فقام رسول الله ﷺ فى الناس خطيبًا فقال : « **أيها الناس إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام لأسمعكم** .... » الحديث .

(٤) أخرجه البيهقي في : شعب الإيمان ١/ ٣٣٢ (٣٦٧) وقال : وهي أيضًا رواية ضعيفة ا.هـ.

النار يحبس الله بها من يشاء من عباده ، الزالون والزالات يومئذ كثير ، والملائكة بجانبيه قيام ينادون : اللهم سلم سلم ، فمن جاء بحق يومئذ جاز ، ويعطون النور يومئذ على قدر إيمانهم بأعمالهم ، فمنهم من يمضي عليه كلمح البرق ، ومنهم من يمضي عليه كمر الريح ، ومنهم من يمضي عليه كمر الفرس السابق ، ومنهم من يشتد عليه شدًّا ، ومنهم من يهرول ، ومنهم من يعطي نوره إلى موضع قدميه ، ومنهم من يحبو حبوًا ، وتأخذ النار منهم بذنوب أصابوها ، فعند ذلك يقول المؤمن : بسم الله حس حس ، ويلتوي وهي تحرق من شاء الله منهم على قدر ذنوبهم » [١] . ثم قال البيهقي في زياد النميري ويزيد الرقاشي وسعيد بن زربي : ليسوا بأقوياء .

١٤ ـ (٢٠٦) وخرج أيضًا من حديث عبيد بن عمير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب والحسك ، فيركبه الناس فيختطفون ، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر » [٢] . وهذا مرسل . وخرجه من وجه آخر موقوفًا على عبيد بن عمير مختصرًا .

وخرج أيضًا بإسناده عن ابن مسعود قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف[٣] .

١٥ ـ (٢٠٧) وخرج الترمذي ـ بإسناد فيه ضعف ـ عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « شعار المؤمنين على الصراط : رب سلم سلم » [٤] . ويروي نحوه من حديث أنس مرفوعًا بإسناد لا يصح .

---

(١) أخرجه البيهقي في : شعب الإيمان ١/ ٣٣١ (٣٦٦) وقال : وهذا إسناد ضعيف غير أن بعض ما روى فيه موجود في الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذكر الصراط ا.هـ.

(٢) أورده المنذري في : الترغيب والترهيب ٤/ ٤٢٩ (٨٧) وقال : رواه البيهقي مرسلا وموقوفًا على عبيد عبد عمير أيضًا ا.هـ.

(٣) انظر : شعب الإيمان ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وسيأتي صـ ٢٧٥ .

(٤) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصراط ٩/ ٢٦١ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي]. وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من حديث المغيرة بن شعبة .. »=

١٦ ـ (..) وروى منصور بن عمار عن ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **شعار أمتي إذا حملوا على الصراط : لا إله إلا أنت** » [(١)] . وهذا فيه نكارة ، والله أعلم .

١٧ ـ (٢٠٨) وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ قال : « **على الصراط** » [(٢)] .

١٨ ـ (٢٠٩) وفيه أيضًا عن ثوبان أن حبرًا من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ قال : « **هم في الظلمة دون الجسر** » قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « **فقراء المهاجرين** » [(٣)] . وذكر الحديث .

ويمكن الجمع بين الحديثين : بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر ، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر ، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء من حين وقوع الناس في الظلمة ، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط ، والله أعلم .

واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ، ومشرك يعبد مع الله غيره ، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط ، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط ، ويدل على ذلك :

= ا.هـ . قلت : في إسناده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي : أبو شيبة وهو ـ كما في التقريب ١/ ٤٧٢ (٨٦٤) ـ ضعيف ا.هـ .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٥٧ (١٦٠) ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٥٩ : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من وثق على ضعفه وعبدوس بن محمد لم أعرفه » ا.هـ. وصححه السيوطي في : الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ (٤٨٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب صفات المنافقين ، باب في البعث والنشور ، وصفة الأرض يوم القيامة ٤/ ٢١٥٠ (٢٧٩١) .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة منى الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ١/ ٢٥٢ (٣١٥) . « إجازة » : هنا بمعنى الجواز والعبور .

١٩ ـ (١٩٩) ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئًا فليتبعه ، فيتبع الشمس من يعبدها ، ويتبع القمر من يعبد القمر ، ويتبع الطواغيت من يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها** » فذكر الحديث إلى أن قال : « **ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه** » [١] .

٢٠ – (١٩٨) وفيهما أيضًا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق من كان يعبد الله من بر وفاجر ، وغير أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم ألا تردون ، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين** » فذكر الحديث إلى أن قال : « **فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقًا واحدًا ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول من صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم** » [٢] وذكر الحديث .

وعند البخاري في رواية : « **ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟** » [٣] وذكر الباقي بمعناه .

---

(١) سبق برقم (١٩٩) .

(٢) سبق برقم (١٩٨) .

(٣) من رواية البخارى فى التوحيد .

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط ، إلا أن عبّاد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا ، فترد النار مع معبودها أولا .

وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود:٩٨] . وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك .

وقد ورد في حديث آخر : أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد العزير ، وفي حديث الصور : أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح ، وملك على صورة العزير ، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواء كان صادقًا أو منافقًا من هذه الأمة وغيرها ، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود ، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين .

وقد اختلف السلف هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ ، أو لا يقسم له نور بالكلية على قولين :

فقال أحدهما : إنه لا يقسم له نور بالكلية .

قال صفوان بن عمرو : حدثني سليم بن عامر سمع أبا أمامة يقول : يغشى الناس ظلمة شديدة ـ يعني يوم القيامة ـ ثم يقسم النور فيعطي المؤمن نورًا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا . وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور:٤٠] . فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن ، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير . و ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد:١٣] قال : وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين ، قال عز جلاله : ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد:١٣-١٥] قال سليم : فلا يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور ، ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق [١] . خرجه ابن أبي حاتم .

وخرج أيضًا من رواية مقاتل بن حيان والضحاك عن ابن عباس ما يدل على مثل هذا القول أيضًا ، ولكنه منقطع .

والقول الثاني : أنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا ، ثم يطفأ نور المنافق إذا بلغ السور . قاله مجاهد .

وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطي نورًا يوم القيامة ، فأما المنافق فيطفأ نوره ، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهم : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم:٨] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، وكذا روى جويبر عن الضحاك .

وسنذكر في الباب الآتي إن شاء الله من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل صحة هذا القول .

وقال آدم بن أبي إياس : أنبأنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **يدفع يوم القيامة إلى كل مؤمن نور ، وإلى كل منافق نور فيمشون معه ، فبينما نحن على الصراط إذ غشينا ظلمة ، فيطفأ نور المنافق ويضيء نور المؤمن فعند ذلك قالوا** : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ﴾ [التحريم:٨] **حين يطفيء نور المنافقين** » [٢] . وقد سبق صفة مشي المنافق على الصراط في حديث

---

(١) ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠/ ٣٣٣٧ (١٨٨٢١) .

(٢) وقد أورده الطبري ـ بنحوه ـ موقوفًا ٢٨/ ١٦٩ . وأورده الهيثمي في المجمع مرفوعا عن ابن عباس ١٠/ ٣٥٩ بنحوه . وقال : « رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك » ا.هـ .

عائشة[١] وإن كان في إسناده ضعف .

وروى بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال : يوضع الجسر على جهنم ثم ينادي مناد : أين محمد وأمته ؟ فيقوم ، فتتبعه أمته برها وفاجرها ، قال : فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمال ويمين ، وينجو النبي والصالحون معه ، ثم ينادي مناد : أين عيسى وأمته ؟ فيقوم ، فتتبعه أمته برها وفاجرها ، فيأخذون بالجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمال ويمين ، وينجو النبي والصالحون معه ، ثم يتبعهم الأنبياء والأمم حتى يكون آخرهم نوح ، رحم الله نوحا »[٢] خرجه ابن خزيمة وغيره .

وقد تبين بما ذكرنا في هذا الباب من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما : أن اقتسام المؤمنين الأنوار على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والبطء ، وهذا أيضًا مذكور في حديث حذيفة وأبي هريرة وغيرهما .

وروى أبو الزعراء عن ابن مسعود قال : يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم ، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرًا زمرًا ، أوائلهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، ثم كمر البهائم ، حتى يمر الرجل سعيًا ، وحتى يمر الرجل مشيًا ، حتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه فيقول : يا رب ، لم بطأت بي ؟ فيقول : إني لم أبطئ بك ، إنما أبطأ بك عملك[٣] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) لم أقف عليه عند ابن خزيمة . وقد أورده البيهقي في : شعب الإيمان ١/ ٣٣١ (٣٦٦) ، وابن المبارك في : الزهد (زيادات) ١١٩ (٣٩٨) . وقال عنه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٨ : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ا.هـ . ووافقه الذهبي .

(٣) عن أبي الزعراء قال : « ذكروا عند عبد الله الدجال فقال : تفترقون أيها الناس ثلاث فرق .. » الحديث . أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٤١٣ (٩٧٦١) ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٩ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ا.هـ . وقال الذهبي : « ما احتجا بأبي الزعراء » ا.هـ . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٣٠ : « رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي ﷺ : « **أنا أول شافع** » . وقد أخرجه ابن نصر المروزي ـ مطولا ـ في : تعظيم قدر الصلاة ١/ ٣٠٧ (٢٨٢) . مكتبة الدار . المدينة المنورة . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ . تحقيق د./ عبد الرحمن عبد الجبار الفريواتي . وأوله : « **تقوم الساعة على شرار الناس ، ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فلا يبقى خلق الله في السموات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك** .. » .

وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا ، هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه ، وأمرهم بسؤال الهداية إليه ، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهرا وباطنًا ، استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ، ومن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ، بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات ، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له على هذا الصراط المستقيم ، كما في حديث أبي هريرة إنها : « تخطف الناس بأعمالهم »[(١)] .

وروى الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر:١٤] قال : من وراء الصراط ثلاثة جسور : جسر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرحم ، وجسر عليه الرب تبارك وتعالى .

وقال أيفع بن عبد الكلاعي : لجهنم سبع قناطر والصراط عليها ، وذكر أنه يحبس الخلق عند القنطرة الأولى فيسألون عن الصلاة ، فيهلك من يهلك ، وينجو من ينجو ، ويحبسون عند القنطرة الثانية فيسألون عن الأمانة هل أدوها أم أضاعوها ؟ فيهلك من يهلك وينجو من ينجو ، ثم يحبسون عند الثالثة فيسألون عن الرحم[(٢)] . وقد ذكرنا فيما تقدم غير حديث في حبس الولاة على جسر جهنم وتزلزل الجسر بهم.

٢٢ ـ (٢١١) وخرج أبو داود من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **من رمى مسلمًا بشيء يريد به تشيينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال** »[(٣)] .

٢٣ ـ (..) وقد روي بلفظ آخر وهو : « **من قال في مؤمن ما لا يعلم ، حبسه الله**

---

(١) جزء من حديث سبق برقم (١٩٩) .

(٢) انظر : حلية الأولياء ٥/ ١٣١ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب من رد عن مسلم غيبة ٥/ ١٩٦ (٤٨٨٣) .
* وفيه : **سهل بن معاذ الجهني** ، وهو ـ كما في التقريب ١/ ٣٣٧ (٥٦٨) ـ لا بأس به إلا في روايات زبان عنه ا.هـ.

على جسر جهنم حتى يخرج مما قال »[١] .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي سليمان الداراني قال : وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم ، فأقامت يومًا وليلة في صيحة واحدة ما أمسكت ثم انقطع عنها بعد ، فكلما ذكرت لها صاحت ، قيل له : من أي شيء كان صياحها ؟ قال : مثلت نفسها على القنطرة وهي تكفأ بها[٢] .

وكان أبو سليمان يقول : إذا سمعت الرجل يقول لآخر : بيني وبينك الصراط ، فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولا يدري ما هو ، لو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد .

وكان أبو مسلم الخولاني يقول لامرأته : يا أم مسلم ، شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق معاوية بن أبي صالح عن أبي اليمان : أن رجلا كان شابًا أسود الرأس واللحية ، فنام ليلة فرأى في نومه كأن الناس حشروا وإذا بنهر من لهب النار ، وإذا جسر يجوز الناس عليه يدعون بأسمائهم ، فإذا دعي الرجل أجاب فناجٍ وهالك ، قال : فدعاني باسمي فدخلت في الجسر ، فإذا حده كحد السيف يمور بي يمينًا وشمالا ، قال : فأصبح الرجل أبيض اللحية والرأس مما رأى[٣] .

وسمع أسود بن سالم رجلا ينشد هذين البيتين :

أمامي موقف قُدّام ربي يسائلني وينكشف الغطاء

وحسبي أن أمر على صراط كحد السيف أسفله لظاء

فغشي عليه .

وروي عن بشر بن الحارث قال : قال لي فضيل بن عياض : يا بشر ، مسيرة

---

(١) أورده أبو نعيم في : الحلية ٨/ ١٨٩ . وقال : « كذا رواه فهر ولم يذكر عبيد الله بن سليمان . والصحيح ما رواه أسد وحبان ، وهو حديث غريب تفرد به إسماعيل عن سهل » ا.هـ.

(٢) ابن أبي الدنيا في : محاسبة النفس ١/ ١٤٤ (١٣٨) .

(٣) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (كتاب المنامات) ٤/ ١٣٤ (٢٩٥) .

الصراط خمسة عشر ألف فرسخ ، فانظر كيف تكون على الصراط ؟ .

وقال محمد بن السماك : سمعت رجالا من زهاد أهل البصرة يقولون : الصراط ثلاثة آلاف سنة ، ألف سنة يصعدون فيه ، وألف سنة يستوي بهم ، وألف سنة يهبطون منه .

وروي فيض بن إسحاق ، عن الفضيل قال : الصراط أربعون ألف فرسخ .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء من حديث جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد ـ وهو يبكي ـ فقال : يا أبا الحسن ، كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط ؟ قال : كقدر رجل في صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها ، قال : فهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله ؟ قال : نعم[1] .

ومن حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال قال : بلغنا أن الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر ، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع[2] .

وقال سهل التستري : من دق عليه الصراط في الدنيا عرض له في الآخرة ، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة .

ومعنى هذا : أن من ضيق على نفسه في الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهي وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة ، ومن وسع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المحرمة والشبهات المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط في الآخرة ، بحسب ذلك ، والله أعلم .

رأى بعض السلف رجلا يضحك فقال له : ما أضحكك ؟ ليس تقر عينك أبدًا أو تخلف جهنم وراءك .

---

(١) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (كتاب الأولياء) ٤/ ١٧ (٢٢) . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م . تحقيق أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول .

(٢) المصدر السابق (٢٣).

٢٤ ـ (٢١٢) وقال أحمد بن أبي الحوارى : حدثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة البيساني ، عن معاذ بن جبل يرفعه قال : « **إن المؤمن لا تسكن روعته ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره** » [1] . خرجه ابن أبي حاتم وقال : أبو حمزة مجهول ، ويونس الحذاء ، قال : وأبو حمزة عن معاذ مرسل ، والله أعلم .

*****

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٠/ ٣٤٢٧ (١٩٢٧٠) . عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا معاذ ، إن المؤمن لدى الحق أسير ، يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يا معاذ ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل ، فالقرآن دليله ، والخوف حجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكة ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد** » .
وقد قال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٥٠٨ : « حديث غريب جدًّا وفي إسناده نظر » ا.هـ. وقال في ٤/ ٥٠٩ : « قال ابن أبي حاتم : يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة عن معاذ مرسل ، ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنًا ، أي لو كان من كلامه لكان حسنا » ا.هـ.